القضية الفلسطينية والبحث عن حل

The Palestinian question and the search of a solution

الشادلي قويدري [1]

[1]كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر3(الجزائر) chadlikouidri@yahoo.fr

تاريخ ارسال المقال:04 / 02 /2019 تاريخ قبول المقال : 23/02 / 2020 تاريخ نشر المقال :مارس/2020

الملخص

كان من المفروض أن تفضي اتفاقية أوسلو (1993) التي أبرمت بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية . إلا أن هذه الإتفاقية سرعان ما انهارت لأن اسرائيل لم تتخل عن مشروعها الصهيوني الرامي إلى الإستيلاء على الأرض وطرد سكانها الفلسطينيين نحو الأردن أو سيناء وإحلال محلهم اليهود من كل أنحاء العالم . أما المستوطنات الزاحفة على الضفة الغربيةفإنها خلقت وضعا من التماس بين الفلسطينيين واليهود لا يمكن الفصل بينهما واسرائيل باتت تسيطر سيطرة تامة على هذا الحيز بين البحر والنهر وتطبق عليه أنظمة مختلفة شبيهة بنظام عنصري (أبارتهايد) لميترك أي أمل لظهور دولة فلسطينية . فدولة واحدة ثنائية القومية من البحر إلى النهرقد تكون هي الحل للقضية الفلسطينية في المنظور البعيد ؟

الكلمات المفتاحية :اتفاقات أوسلو ، حركة صهيونية ، " ترانسفير" ، احتلال ، دولة ثنائية القومية.

Abtract

The Oslo Accords should in principle lead to the creation of an independent Palestinian state in the 1967 borders with East Jerusalem as its capital . Israel has never given up on its colonial Zionist project of separating itself from Palestine and expelling its inhabitantsto Jordan or elsewhere . the Jewish settlements invading the West Bank have created a situation ofimbrication of the two Palestinian and Jewish populations whose separation has become impossible . also , a single binational state could be the long-term solution ?

Key words: the Oslo Accords , Zioniste movement , colonization , transfert, Binational state .

المؤلف المرسل: شادلي قويدري , الاميل : chadlikouidri@yahoo.fr

مقدمة

الحركة الصهيونية هي في الأساس حركة كولونيالية كالتي حملتها الدول الغربية في القرن التاسع عشر. وهي تستلهم وتستمد من ايديولوجيتها القائمة على السيطرة على الأرض واستغلال سكان المستعمرات الذين يصبحون أياد عاملة رخيصة . ونظرا لخصوصيتها القائمة على الحصرية اليهودية ، تعمل الصهيونية على طرد السكان الأصليين واحلال محلهم اليهود لأنها تريد أرضا " نقية " من العرب . نجحت هذه الحركة في إنشاء كيان يهودي يقوم حصريا على اليهود الذين جمعوا من مختلف بقاع العالم وخاصة من أروبا الشرقية، على أرض فلسطين. وقد ساهم في إنشاء هذا الكيان الدولُ الغربية الإستعمارية التي تحالفت معها الحركة الصهيونية منذ البداية . وهكذا وعدت بريطانيا العظمى مجموعة من الناس بدون أرض بمنحهم أرضا يملكها شعب منذ آلاف السنين. فصاغ الصهيونيون عبارة " أرض بدون شعب لشعب بدون أرض" ، وهم يعلمون حق العلم ، أن فلسطين آهلة بالسكان وهؤلاء ليسوا مستعدين للتخلي عنها مقابل أي إغراءات . أحد منظري الحركة الصهيونية فلادمير جبوتنسكي (1880- 1940) ، الذي يعتبر الأب الروحي للوزير الأول الإسرائيلي الحالي بنيامين ناتنياهو ، كتب في 1923 ، عندما كان اليهود في فلسطين أقلية لا يتجاوز عددهم 60000 : " الطريق الوحيدة للإتفاق (الإتفاق بين العرب واليهود) هو الجدار الحديدي ، أي تعزيز السيطرة على فلسطين بحيث لا تكون معرضة لأي تأثير عربي ، وأقصد السيطرة التي يحارب العرب ضدها . وبكلمات أخرى ، من ناحيتنا ، فإن الطريق الوحيدة نحو اتفاق مستقبلي تتجسد في الرفض التام لكل محاولات التوصل إلى اتفاق في الحاضر " [1] .

بفضل إعلان بلفور (1917) الذي وعدت به بريطانيا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم ، ثم عندما تسلمت بريطانيا الإنتداب على فلسطين سنتان من بعد ، تعزز موقع الصهيونيين بالمستوطنات التي خصصت لليهود دون "الأغيار" . فهذا المشروع الصهيوني ، كما يقول إيلان بابيه ، : " هو حركة كولونيالية أشبه ما تكون بحالة الأروبيين الذين استوطنوا أمريكا الشمالية . منذ البداية ، مارس الصهاينة سياسة الفصل إزاء الفلسطينيين ، واعتبروا الأرض التي شرعوا في استيطانها منذ نهايات القرن التسع عشر بمثابة حق حصري لهم . واسرائيل اليوم ، كدولة استيطانية ، لا تزال تعمل بالمنطق ذاته الذي حكم كل الحركة الصهيونية الأوروبية : حيازة الأرض خالية من سكانها الأصليين " [2]

هذه الخلفية هي التي يجب أن يتوقف عندها كل بحث لمعرفة أسباب فشل " عملية السلام " التي بدأت في 1991 والتي أفضت سنتين من بعد إلى اتفاقيات أوسلو التي وقعت بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل لإقامة دولة فلسطينية جنبا إلى جنب مع اسرائيل ، إذ إن الإعتراف كان متبادلا بين الطرفين . لكن التطورات اللاحقة لهذه العملية ، بعد أن استقرت السلطة الفلسطينية في رام الله ، أظهرت أن هذا المسار السلمي في حقيقته كان مخططا اسرائيليا محكما سوقته اسرائيل للعالم وللفلسطينيين لزيادة إحكام قبضها على الأراضي المحتلة وتقطيع أوصالها بحيث يستحيل بناء دولة فلسطينية تملك مقومات

السيادة.فالمفارقة أن إدارة اسحاق رابين التي كانت تقود مفاوضات حل الدولتين ، اسهمت بقسط كبير في تدعيم المستوطنات وضم المزيد من الأراضي الفلسطينية .

أمام هذه الطريق المسدودة الذي تبتعد فيه يوما بعد يوم الدولة الفلسطينية المنتظرة ، يرى فريق من المثقفين الفلسطينيين والإسرائيليين أن الحل الوحيد لهذه المعضلة يكمن في انشاء دولة واحدة متعددة الإثنيات تكون ديموقراطية وعلمانية ، دولة لمواطنيها مهما كانت ديانتهم ككل الديموقراطيات الحديثة التي لا تفرق بين سكانها من حيث المساواة والفرص. وهذا الحل أي دولة واحدة ثنائية القومية نابع من التداخل بين اليهود والفلسطينيين في حيز ضيق، رغم اعتماد اسرائيل سياسة الفصل خشية ما تسميه " بالخطر الديموغرافي ".

إسرائيل من جهتها سترفض فكرة الدولة الواحدة متعددة الإثنيات بسبب العامل الديموغرافي الذي سيكون في صالح الفلسطينيين مما سيقّوض المشروع الصهيوني برمته القائم على الحصرية اليهودية وقد أصبحت نسبة السكان العرب اليوم، بحسب علماء الديموغرافيا، مساوية تقريبا لليهود في ذلك الحيز المتراوح بين البحر والنهر.

بقي الحل إذن بالنسبة لإسرائيل التي يزداد جمهورها تطرفا ، هو الطرد . وصف اسرائيل شاحاك Israel Shahak هذه العملية بأنها " حركة يجب إعطاؤها الأهمية التي تستحق ، لأنها عملية جادة ، ومناصروها يزدادون في اسرائيل أهمية وكثرة . وهي شبيهة بالنازية من حيث إنها عندما نادى بها النازيون في ألمانيا، لما استولى الحزب النازي على السلطة ، لم يأخذها أحد مأخذ الجد ، عندما نادت بطرد اليهود من ألمانيا ثم بعد ذلك بإبادتهم"[3] .

لكن إسرائيل تريد أن تكون دولة غربية . وهي لا تفتأ تدعي بأنها دولة ديموقراطية ويهودية في نفس الوقت ، بينما يؤكد الواقع الفعلي الاجتماعي والثقافي والسياسي في إسرائيل أن الزعم بتوافق البعدين اليهودي والديمقراطي ليس له مشروعية ، بل إنهما متناقضان وبالتالي فإن إسرائيل إما أنها ستتحول إلى دولة يهودية أثنية أو دولة ديمقراطية لمختلف مواطنيها [4].

تحلل هذه المقالة المرحلة الحالية للجغرافية السياسية لفلسطين /إسرائيل ، حسب الخطة التالية :

1- الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية

2- حل الدولتين كما تصوَّرها مسار أوسلو

3- حل الدولة الواحدة ثنائية القومية

1 : الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية

لا يمكن فهم هذا المسار الفاشـــل الذي خلقته اتفــاقات أوسلو، والمناورات الإســـرائيلية الرافـــضة لدولة فلسطينية، إذا لم نلق نظرة ارتدادية لأصل الحركة الصهيونية.

1-1 - الحركة الصهيونية حركة كولونيالية

منذ البداية، طورت الصهيونية هوية مزدوجة. فمن جهة تحولت إلى مشروع استعماري يعمل على السيطرة على أكبر جزء من الأرض وبناء القوة الاقتصادية في المستعمرات الجديدة. ومن جهة أخرى قدمت نفسها على أنها مناهضة للاستعمار وتسعى إلى " تحرير الوطن" من البريطانيين لإقامة دولة يهودية [5].

فمنذ نهاية القرن التاسع عشر ، والحركة الصهيونية تفكر في الطريق التي يتم بها اقتلاع السكان الأصليين وطردهم من ديارهم واحلال محلهم مهاجرين يهودا . لكن الحركة الصهيونية اصطدمت فعلا بأن تكون فلسطين آهلة بالسكان ، وأنّ هؤلاء راسخون في أرضهم لن يغادروها بالتراضي . فعمدت الى حيل قانونية شبيهة بتلك التي يستعملها الاستيطان الكولونيالي للاستيلاء على الأرض : شراء الأرض من ملاكها الغائبين مقابل أسعار مغرية ، مستغلة الأوضاع القانونية التي كانت سائدة في العهد العثماني ، وهي أوضاع تقوم على أن ملاك الأرض المقيمين في المدن الكبرى للمنطقة يأجرونها للفلاحين لمدد غير محددة ، والفلاحون يعتبرونها وكأنها أرضهم الجماعية ، يقتاتون منها مقابل ريع يعود على الملاكين . مع ذلك لم ينجح الصهاينة في شراء الأرض التي بنى عليها اليهود المهاجرون المستوطنات سوى جزء بسيط منها ، في تناقض تام مع الدعاية التي روجتها اسرائيل فيما بعد أن الفلاحين الفلسطينيين باعوا أرضهم . وهذا الفشل مؤداه أن اليهود ، خاصة المتواجدين في شرق أوروبا ، فضلوا الهجرة إلى أروبا الغربية والولايات المتحدة بدلا من الهجرة إلى فلسطين . ففي العام 1914 مثلا لم يوجد في فلسطين سوى ستين ألف يهوديا ، يشكلون نسبة 1 بالمئة من اليهودية العالمية ونحو 8 بالمائة من مجموع السكان المحليين [6].

وقد تبنت الحركة الصهيونية استراتيجية استيطانية ، طبقتها منذ البداية ، متمثلة في تأسيس مزارع صغيرة تشغّل اليهود دون غيرهم ، ووضعت الأراضي العربية التي اشتراها الصندوق القومي اليهودي تحت تصرف اليهود فقط بعد طرد الفلاحين العرب منها [7]. وقد كانت بداية فصل بين الجماعات الاثنية [8] . وهنا تجدر المقارنة بالوضع الكولونيالي في أماكن أخرى من العالم كالجزائر التي سعى فيها المستعمر الاستيطاني تجريد الفلاحين من أرضهم وتوزيعها على المستوطنين الذين أتت بهم السلطات الفرنسية من بلدان شمال المتوسط . وقد كانت الأرض جماعيةً في أغلبها . وعن طريق القوانين العقارية الكبرى : كقانون senatus consulte (1863) وقانون warnier (1873) ، تم تجزئة الأرض وتفكيك الهياكل الأساسية للإقتصاد والمجتمع وتشتيت الفلاحين وأبعدوا عن أرض أجدادهم وأصبحوا عمالة رخيصة . يفترق الوضع في فلسطين أن الصهيونية تريد أرضا " نقية " من العرب .

مقارنة الصهيونية بالاستيطان الكولونيالي في اماكن أخرى ليس أمرا بدون أساس. منذ نشأتها تحالفت الصهيونية مع الإمبريالية الغربية [9]، وقد بذل الزعماء الصهيونيون جهودا كبيرة لربط حركتهم الباحثة عن أرض يستوطن فيها اليهود ببريطانيا الإمبريالية وبتطابق مصلحة الشعبين. يقول نورمان

فنكلستين Norman finkilstein مستشهدا بأحد المؤرخين الإسرائيليين : " منذ البداية كان هناك اجماع على هذا الأمر داخل الحركة الصهيونية يضم كافة قطاعاتها " [10] .

أما بريطانيا العظمى فقد رأت في الحركة الصهيونية سندا لها ، وقد بلغ التوسع البريطاني في العالم أوجه في نهاية القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي ظهرت فيها الصهيونية . يقول ادوارد سعيد حول هذا الالتقاء : " من الصحيح أن الصهيونيين الأوائل اقتبسوا من الأجواء الأوروبية التي نشأوا فيها فلسفة الفكر الإمبريالي وأسلوبه وموقفه من الأقطار والمناطق الشرقية . ومعروف أن الكثيرين من رجال الأعمال اليهود مثل البارون هيرش وآل روتشيلد كان في طليعة القائمين بتمويل المشاريع الاستعمارية حتى قبل ظهور الصهيونية . ولقد صيغ المشروع الصهيوني بشأن فلسطين على غرار الأساليب ذاتها التي انتهجها البريطانيون والفرنسيون والألمان والأمريكيون والروس في مشاريعهم الرامية إلى التوسع الإقليمي " [11].

الأيديولوجيا الصهيونية قائمة تقريبا على نفس مقولات الإمبريالية الغربية . فالشعور القومي الذي نشأت عليه الشعوب الغربية ، يقتضي تقديس الوطن والإحساس بالتفوق إزاء الآخرين ، وخاصة إزاء الشعوب غير الأوروبية . وقد حفزت فكرة تفوقها العنصري لحث شعوبها على غزو شعوب المستعمرات [12]. وهذا ما فعلته الحركة الصهيونية فيما يتعلق بالسكان الأصليين . فقد اعتبرت سكانها شعوبا بدائية ، أرضها خالية من سكان متحضرين ، يحق استعمارها وادخال قاطنيها للحضارة . يقول تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية مؤكدا هذا التوجه : " ونقيم هناك جزءا من حائط لحماية أوروبية في آسيا يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية . ويتوجب علينا كدولة محايدة أن نبقى على اتصال مع أوروبا التي ستضمن وجودنا بالمقابل " [13] . إلا أن المشروع الصهيوني يختلف عن المخطط الاستعماري في أنه يريد إقامة دولة جديدة لشعب بدون دولة. وهو ما يفسر ضرورة الاستعانة بقوة امبريالية توسعية وكانت تلك الدولة هي بريطانيا العظمى .

أما الصهيونية فما تزال إلى اليوم تدعي أنها ليست استعمارا استيطانيا لأنها لم تقم على استغلال الأرض والأيدي العاملة، كما فعلت الدول الإمبريالية، وإنما قامت على " نقاء العمل العبري " [14]. يقول غاي باجويت مفندا هذا الطرح : "مشكلة استغلال الأيدي العاملة والموارد الطبيعية وأسواق مجتمعات بشرية أخرى ليست هنا واردة كما هي الحال بالدول الاستعمارية الأوروبية . فالمطلوب هو إيجاد صيغة " مشروعة " لإخراج الفلسطينيين من أراضيهم " [15] . وهذا ما يؤكده مارك ليفين من حيث إن القادة الصهاينة طوروا استراتيجية " غزو سوق العمل" لتسهيل انشاء فرص عمل للمهاجرين بغية تشغيل اليهود فقط . وعندما ثبت عدم فاعلية ذلك أصبح التركيز هو " غزو الأرض" ليتضمن شراء الأرض من أجل بناء المستعمرات اليهودية فقط [16] .

ما كان يشكل معضلة لمؤسسي الصهيونية أن فلسطين آهلة بالسكان . وحتى سنة 1930 لم يكن المستوطنون يشكلون الأغلبية . آنذاك عملية الطرد التي يحلم بها الصهاينة والتي يسمونها "ترانسفير" ، لم تكن واقعية[17]. في 1936 اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى ، فأرسلت بريطانيا في 1937 لجنة لتقصي

حقائق هذه الثورة تعرف باسم (لجنة بيل Peel Commission) ، واقترحت هذه اللجنة تقسيم فلسطين ، فسارع اليهود لقبول التقسيم لأنهم تعززوا بإمكانيات عسكرية تكونت في المستوطنات . وابتداء من ذلك الوقت إلى سنة 1945 أصبح التفكير يتطرق إلى الكيفية التي ينفذون بها الطرد ، والنقاش ضمن الحركة الصهيونية كان يتمحور حول هذه الفكرة ، واستبعدت الاعتبارات الاخلاقية من أي نقاش[18] .

وقد جاء التقسيم نتيجة الثورة العارمة التي قام بها الفلسطينيون سنة 1936 والتي قمعها البريطانيون بوحشية بمساعدة الميليشيات اليهودية التي دربها البريطانيون . وبحلول انتهاء فترة الانتداب ، كانت العشرات من المستوطنات الجماعية اليهودية قد أنشئت ، مشكلة شبكة تغطي بعض المناطق في فلسطين ولا سيما في المنطقة الساحلية الوسطي . فكونت المستوطنات ساحة إقصاء شهدت التوسع وحُظر على العرب الوصول إليها [19]. وقد تقوى اليهود بالوافدين الجدد الذين جاءوا من ألـــمانيا فتضاعف عددهم ثلاث مرات [20] .

عندما شعرت الحركة الصهيونية أنها قوية ، يشجعها في ذلك لجنة بيل Peel Commissionالبريطانية ، أقرت عملية الترانسفير في المؤتمر الصهيوني الذي انعقد بزوريخ ، بتاريخ 7 أغسطس 1937[21] . في هذه السنة تكونت لجنة نقل السكان ، كان من أعضائها مجموعة كبيرة من مختلف الهيئات : إقتصادية وقانونية ومن اتحاد الفلاحين وسياسيين . بحثت هذه اللجنة احتمالات نقل العرب إلى ما وراء نهر الأردن أو سوريا أو العراق والدفع بهم خارج فلسطين بالقوة إن اقتضى الأمر. وكانت هذه اللجنة تبحث عن معلومات دقيقة لإعداد خطة كاملة لهذا المشروع في حالة ما إذا قاوم العرب عملية نقلهم [22] . كتب فلادمير جابوتنسك Vladmir Jabotenski (1880-1940) :" ليس هناك من خيار : يتعين على العرب أن يفسحوا مجالا لليهود في أرض اسرائيل . فإذا كان ممكنا ترحيل شعوب البلقان ، فإن من الممكن ترحيل الفلسطينيين العرب " [23] .

أما الثورة العربية التي اندلعت سنة 1936 واستمرت حتى 1939 ، فقد جاءت كرد فعل ضد تنامي الخطر الصهيوني وانكشاف مشروعه لدى الفلسطينيين الذين اعتبروا المستوطنين اليهود بمثاب مستعمرين أوروبيين لا يختلفون عنهم في شيء [24] .

1-2- استحضار التاريخ

لقد كونت الحركة الصهيونية في أواخـر القرن التاسع عشر، مجمـــوعة من الأساطير لا تزال إلى لدولة اليوم تروجها إسرائيل عن مشروعها الاستيطاني وهو مشروع جوهره احتلال الأرض وطرد س كانها منه بالعنف المادي والإقصاء القانوني والأيديولوجي . فالأسطورة الصهيونية التأسيسية طرحت نفسها من خلال عدة توجهات : **الأول** هي أسطورة العودة إلى إسرائيل . فلتبرير استعمارها لفلسطين اخترعت الحركة الصهيونية فكرة أن اليهود طردوا من فلسطين قبل ألفين سنة أثناء التواجد الروماني في بلدان المشرق سنة 70 ميلادية ، وها هم اليوم يعودون إلى ديارهم التي طردوا منها مستندين في ذلك على مجموعة من الكتابات التوراتية التي تقر بتواجدهم في فلسطين . إلا أن الواقع التاريخي الذي كشف عنه

المؤرخون الإسرائيليون أنفسهم ، نتيجة بحوثهم وحتى نتيجة التنقيبات الأثرية التي تقوم بها إسرائيل بلهفة ، أثبتت أنّ الطرد لم يحدث على الإطلاق [25] . وقد أكد البروفيسور مايكل راس أن " مرور قرن ونصف من جهود علماء الآثار الإسرائيليين وزملائهم الأوروبيين والأمريكيين لم تؤد إلى اكتشاف شيء له قيمة أثرية لإثبات الدعوى التي ترفعها اسرائيل لأثبات أقدمية الوجود الإسرائيلي في فلسطين " [26] .

الثاني: أن إسرائيل صاغت خطابا دينيا لإيجاد شرعية ما لوجودها ، بالرغم من أن الذين أسسوا الصهيونية كانوا علمانيين ولكنهم يستندون على رواية دينية لتبرير تواجدهم في فلسطين[27] . فقد صاحبوا مشروعهم بأسطورة " العودة إلى التاريخ" و" العودة إلى " أرض إسرائيل " [28] . فعبارة " العودة إلى التاريخ " يقصد بها في الخطاب الصهيوني ان إسرائيل في العصور القديمة كانت تملك سيادة على هذه الأرض، واليهود يعودون إلى أرضهم التي يتصورن أنها فارغة [29] . يقول غابرييل بيتربرغ : " إن المشروع الذي تم استحضار التوراة (العهد القديم) من أجله هو مشروع استيطاني ، وهو مشروع استيطاني ليس فقط من حيث الاستيلاء على الأرض والعمل ، وإقامة المستوطنات والمؤسسات ، وإنما كذلك من حيث الوعي التاريخي والأيديولوجيا والخيال الأدبي . فهناك بالنسبة للدول الاستيطانية شرطان لا غنى عنهما : الغزو والاحتلال كأصل تأسيسي ، ثم الحصانة الاثنية مقابل السكان الأصليين . وقد لجأت دول استيطانية أخرى إلى الاستفادة من (العهد القديم) على نحو مشابه في هذا المجال "[30] ، ويحضرنا هنا المشروع الاستيطاني في القارة الأمريكية وجنوب افريقيا واستراليا . وهي أيضا مشاريع استنجدت بنصوص التوراة . لهذا الغرض ، عمدت اسرائيل تشويه تاريخ فلسطين نفسه ، زاعمة أسبقية يهودية على العرب لغرض محو الوجود الفلسطيني وإعادة مركزة للوجود القومي اليهودي بوصفه خيطا متصلا ومحوريا . وقد ازدادت هذه النظرة بعد احتلال الأراضي العربية في 1967 ، حيث تغير الإدراك الصهيوني للتاريخ واستشرت الأساطير المؤدية إلى " إسكات التاريخ الفلسطيني " [31] . يقول كيت وايتلام Keith Whitelam بهذا الصدد : " إن فلسطين توصف على أنها منطقة صغيرة وفقيرة ومعزولة – هذه أوصاف شائعة في الدراسات التوراتية – ثم يتغير هذا الوضع وتصبح فلسطين مرموقة فقط بسبب الوجود التاريخي لإسرائيل فيها . وعلى هذا ، فإن الدراسات التوراتية متورطة في تجريد الفلسطينيين من وطنهم . ولهذا مقابل سياسي معاصر متمثل في السيطرة الصهيونية على الأرض وسلب الشعب الفلسطيني من أرضه وتصويره على أنه شعب بلا تاريخ او تجريده من هذا التاريخ " [32]. أما أسطورة النفي التي يتمسك بها الصهاينة لتبرير عودتهم إلى وطنهم المزعوم فيقول المؤرخ الإسرائيلي شلومو ساند ، في كتاب شهير " اختراع الشعب اليهودي " ، مفندا المزاعم الصهيونية : " وتوخيا للدقة ، فإننا لن نجد في التوثيق الروماني الغني ولو إشارة واحدة إلى حدوث أية عملية نفي من أرض يهودا . كذلك لم تكتشف أي معطيات حول تجمعات سكانية كبيرة من اللاجئين الذين تجمعوا بعد التمرد داخل حدود مملكة يهودا مثلما كان من المفروض أن يحدث فيما لو حصلت عملية نزوح سكانية مهمة أو كبيرة " [33] .

2- حل الدولتين كما تصورها مسار أوسلو

لكي نفهم التطور الحاصل حاليا ، بصدد السجال الدائر حول حل الدولتين ، لا بد من التطرق إلى الكيفية التي تريد بـــها اسرائـــيل حل القضية الفلســـطينية والسياق الذي جـــاءت فيه اتفاقـــات أوسلو كحل للدولتين .

2-1 - " الخطر الديموغرافي "

فالواقع الديموغرافي هو العامل الأساسي الذي سيحكم سياسة اسرائيل في تعاملها مع الأراضي الفلسطينية وليس كما تدعي العامل الأمني . فقد أصبح هذا العامل يشكل البرنامج المشترك لجميع القوى السياسية الرئيسية في اسرائيل ، من الأحزاب اليمينية المتطرفة والأرثودوكسية الدينية إلى الصهاينة اللبراليين واليساريين [34].أثناء نكبة 1948 ازداد فيها هذا الكيان اليهودي توسعا أكثر مما خصصت له لجنة بيل في 1937 وأكثر مما خصص له قرار التقسيم في 1947 . في هذه الحرب العربية الصهيونية عمد الجيش اليهودي إلى تدمير القرى والبلدات الفلسطينية وطرد سكانها الذين بلغ عددهم 750000 فلسطينيا ، وأصبحوا في عداد اللاجئين . ورغم الضغوطات الدولية التي مورست على الصهاينة لإرجاع اللاجئين ، فقد صمم اليهود على عدم ارجاعهم وتدمير قراهم تدميرا كليا وسارعوا إلى إسكان مهاجرين يهود في مواقع تابعة لغيرهم [35]. أما الذين بقوا من العرب داخل الكيان الصهيوني فقد فرض عليهم الجيش الحصار في قراهم وبلداتهم ومنعوا من التنقل ولم يرفع هذا الحصار إلا سنة 1966 .

وهكذا تّم تحقيق أغلبية يهودية في المناطق التي سيطر عليها الصهاينة. ولم يتوقف الطرد في ذلك التاريخ بل استمر في جوان 1967 جراء الحرب العربية الإسرائيلية . فعندما احتلت اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة وأراض عربية أخرى في جوان 1967لم يغادر هذه المرة إلاّ العدد القليل من السكان وبقيت الأغلبية في أماكنها . اصطدمت إسرائيل بالعدد الكبير من الفلسطينيين تحت الإحتلال وهي تريد حيزا صهيونيا " نقيا" بهدف تحقيق أقصى ما يمكن من السيطرة اليهودية . وقد شكل هذا الأمر معضلة ديموغرافية "خطيرة " لإسرائيل . تذكر إحدى الروايات أن غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك عندما سألت ليفي أشكول وزير خارجيتها عن أمر سكان الضفة وغزة وما عسى هي فاعلة بهم ، قال لها إنك مهتمة بالمهر وليس بالعروس [36] ، ويقصد بالعروس السكان الفلسطينيين ، والمهر هي الأرض.

فما أن توقفت الحرب ، حتى سارعت اسرائيل إلى ضم القدس الشرقية وطبقت عليها قانونها وكذلك الجولان السوري . وإذا لم تبادر لحد الآن لضم الضفة وقطاع غزة فخشية أن يصبح السكان العرب من حاملي الجنسية الإسرائيلية وما ينتج عن ذلك من اختلال في التوازن الديموغرافي . أّما الانسحاب من قطاع غزة في 2003 وتفكيك مستوطناته فهو نابع من نفس المنطق . إنها مستوطنات مكلفة ولا تضم سوى 8000 مستوطنا يحرسهم ضعف هذا العدد من الجنود المدججين بالسلاح في وسط يبلغ سكانه من الفلسطينيين مليون ونصف نسمة ضمن حيز كثافته السكانية هي الأكبر في العالم . ثم تعميقا لنظام الفصل الذي يعتبر اريل شارون من أحد آبائه المخططين له.

فهذا " الرعب الديموغرافي " نابع من أن اسرائيل سواء في حدودها قبل 1967 أو في الحدود الموسعة سيكون عليها آجلا أم عاجلا أن تصبح دولة ثنائية القومية[37] . فإسرائيل تدق ناقوس "الخطر الديموغرافي" الذي يعني بالنسبة اليها تهديد مشروعها الصهيوني القائم على نقاء الأرض من العنصر الفلسطيني . فمنذ نشأة هذه الأيديولوجيا والقادة الصهاينة يقض مضجعهم السكان الأصليون في فلسطين وتزايدهم الطبيعي وكيفية التعامل معهم . فمفهوم " الترانسفير" ، هو من ابتكار الصهيونيين ، يستعملونه بدلا من كلمة " طرد " المحملة بشحنتها الأخلاقية ويقصد به تنقية عرقية تنتظر إسرائيل الفرصة لتحقيقها كما في 1948 أو في 1967 وكما حاولت ذلك في 11 سبتمبر 2001 ، عندما أراد آرييل شارون طرد الفلسطينيين مغتنما فرصة الحرب الأمريكية على الإرهاب . لذلك جاءت عملية أوسلو التي تظاهرت من ورائها اسرائيل أنها أصبحت تقبل بحل الدولتين مما نتج عن ذلك الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني .

بالنسبة للفلسطينيين تم تصور عملية أوسلو كحل للقضية الفلسطينية التي طال أمدها باعتبارها آخر مخلفات النظام الاستعماري في العالم[38] . إلا أن هذا المسار كانت اسرائيل تتحكم فيها من البداية . وقد جاء على خلفية الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي اندلعت سنة 1987 في الأراضي المحتلة منذ عام 1967 ، والتي بينت للعالم أن اسرائيل سلطة احتلال غاشمة ، تستعمل القوة المادية للتنكيل بشعب يطالب بحقوقه المشروعة .

فالأسطورة التي روجتها اسرائيل عن نفسها من أنها تلك الدولة المهددة بان ُيلقى بها في البحر ، تلقت ضربة قاسية عندما انتشرت في وسائل الإعلام العالمية صور الأطفال الفلسطينيين وهم يلقون بالحجارة على الجنود الصهاينة المدججين بأحدث الأسلحة والمتحصنين داخل الدبابات أمريكية الصنع كان من الضروري إذن ، بالنسبة للكيان الصهيوني ، أن يبادر بتحسين صورته التي شوهتها الإنتفاضة .

من جهة أخرى َقبَل الفلسطينيون الدخول في المفاوضات مع اسرائيل ، على أساس بناء دولتهم المستقلة على 22 بالمئة من فلسطين الإنتداب وموقفهم كان ضعيفا نظرا لعدة عوامل : اقليميا ودوليا وعربيا منها الضغوطات التي مورست على المنظمة من طرف الدول العربية المستعجلة لإيجاد حل للقضية الفلسطينية . والمنظمة الفلسطينية مدينة من جهتها لهذه الدول بالمساعدات والأموال التي تغدقها عليها وبالتالي لا تستطيع أن ترفض لها طلبا . أو كما قال محمد حسنين هيكل : " إن التنازلات التي قدمتها المنظمة ، اعتقادها أنها تقدمها إلى أطراف عربية أكثر مما تقدمها لإسرائيل " [39] . واكب ذلك تغيرات في المنطقة كحرب الخليج الأولى التي اندلعت بين العراق وإيران وصعود الدول الخليجية كقوة مالية معتبرة وانهيار الاتحاد السوفياتي . كل هذه العوامل ساهمت في إضعاف المنظمة وتقليص تأثيرها لدى الجمهور الفلسطيني في الأراضي المحتلة وكذا في الشتات .

عندما دخل الفلسطينيون حلبة المفاوضات مع اسرائيل ابتداء من 1991 لم يكن أحد يساندهم . الدول العربية كانت من الوهن والضعف بحيث لم تستطع معهما أن توازن كفة القوة الإسرائيلية التي

تؤازرها الولايات المتحدة الأمريكية. مصر، أكبر دولة عربية حيدتها اتفاقات كامب ديفيد في أواخر السبعينات ، صعود الاسلام السياسي الناتج عن الثورة الإيرانية ، ثم غزو العراق للكويت مما جعل المنظمة تساند العراق وهو موقف زاد من عزلتها وانقطاع الموارد التي كانت تأتيها من دول الخليج الغنية.

أما القيادة الفلسطينية من جهتها، فلم تقدر المناورات الإسرائيلية حق قدرها ، إذ كان يحدوها الاعتقاد أن إسرائيل اقتنعت أخيرا بضرورة الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وذلك على الرغم من أن شخصيات ومثقفين فلسطينيين مرموقين ، نبهوا إلى المأزق الذي قد تضع فيه المنظمة نفسها إذا ما استهانت بالمطالب الأساسية التي أرجأتها اسرائيل إلى وقت آخر وهي : القدس، والمستوطنات ومسألة اللاجئين الذين طردوا من دـتتيارهم في1948 والموارد المـــائية. كل هذه المسائل الحيوية لم يتم التفاوض فيها.

أما الحل الذي بلورته اسرائيل مع الفلسطينيين واقنعت به الإدارة الأمريكية هو استبعاد من المفاوضات مسؤولية اسرائيل عن النكبة التي حلت بالفلسطينيين عام 1948 . المفاوضات يجب أن تقتصر على المناطق التي احتلتها اسرائيل في 1967 ، ومصير اللاجئين الفلسطينيين المشتتين في أنحاء العالم وأولئك الذين بقوا في اسرائيل استبعدوا أيضا من عملية السلام . والقدس التي ضمتها اسرائيل ليست معنية بتاتا بالمفاوضات .

بهذه الصيغة التي قبل بها الفلسطينيون، تكون إسرائيل قد حققت هدفها الذي لم يتوقف قادتها عن الإدلاء به في كل مناسبة: لا انسحاب من الأراضي التي احتلتها في 1967 .

- أما هذا "النزوع" الإسرائيلي نحو ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، فقد هللت اليه الدول العربية والدول الغربية على حد سواء من أن عصرا جديدا انفتح للسلام أخيرا . سوقت اسرائيل هذا الاعتقاد ، فرفعت عنها العقوبات التي كانت مفروضة عليها ، وتجرأت الدول التي كانت تقاطع اسرائيل على إعادة العلاقات معها . وهو مكسب عظيم لم تكن اسرائيل لتحلم به .

هذه الصورة الملطفة لإسرائيل قال فيها أحد الباحثين أن اسرائيل " لم تستعد صورة الدولة " التواقة للسلام " إلا بفضل اتفاقيات أوسلو التي لم تفرض التراجع عن مشروعها الاستيطاني وعن سيطرتها العسكرية والاقتصادية في الأراضي الفلسطينية . وهكذا خلقت اتفاقيات أوسلو خدعة سلام " تبددت في أيلول 2000 " [40]، ساهمت فيها عن غير قصد منظمة التحرير الفلسطينية. يقول ادوارد سعيد ملخصا صفقة أوسلو : " إن الصفقة التي بين أيدينا تنبئ عن وهن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعزلتها ، كما تنبئ عن دهاء اسرائيل " [41] .أما النية الحقيقية فقد أعترف بها فيما بعد إيهود باراك من حزب العمل والذي كان يقود المفاوضات مع الفلسطينييينحين قال : " لّما كان توجيه ضربة عسكرية لمنشآت إيران النووية هو الشيء الأهم ، كان الامتحان الوحيد للقيادة هو الاستعداد لإبداء مرونة في أمور أخرى . وكان واضحا أن الدخول في مفاوضات مكثفة يؤدي إلى تخفيف العوائق إلى حد كبير وإلى تغيير الوضع في أوروبا ، وتغييره كليا في الولايات المتحدة " [42] .

2-2- سياسة الفصل العنصري الإسرائيلية

لم تتردد الدعاية الصهيونية النافذة في وسائل الإعلام الغربية ، في تقديم هذه الاتفاقيات بأنها من فعل " معسكر السلام " في اسرائيل ، الذي يضم حزب العمل الحاكم آنذاك وعلى رأسه اسحاق رابين الذي أصبح من " الحمائم ". إلا أن " معسكر السلام " في اسرائيل لم يتوقف عن مصادرة الأراضي من أصحابها الفلسطينيين ولا عن السيطرة على مصادر المياه وعمليات الهدم والمداهمات ولا عن توسيع المستوطنات . وفي الوقت الذي كانت فيه المفاوضات في أوجها كانت المستوطنات تبنى على الأراضي الفلسطينية المصادرة ويزداد عدد المستوطنين فيها.يقول وزير المالية السابق في حكومة الليكود ، دان ميريدور: " في هذا الشأن ُيقدم الثناء إلى اتسحاق رابين ، سلام عليه ، وإلى شمعون بيريس اللذين زادا خلال الأعوام الأربعة الأخيرة عدد اليهود في يهودا والسامرة بنسبة 40%ويُقدم الثناء أيضا إلى اليسار الإسرائيلي الذي لم يقل كلمة واحدة عن هذا كله خلال أربعة أعوام . ُويقدم الثناء إلى القوة الأمريكية التي كانت تعلم بالأمر ولم تُمانع . ُويقدم الثناء إلى السلطة الفلسطينية التي كانت ترى أعمال البناء وتعلم بها ، ولم يمنعها ذلك من انجاز عملية السلام . " [43]

بقبول القيادة الفلسطينية بهذا الصفقة ، تسطيع اسرائيل من الآن فصاعدا أن تستمر في انجاز سياستها دون احتجاجات دولية قوية ودون أن تعرض قواتها المسلحة لأي خطر ودون أن يكون احتلالها مكلفا [44] . بعبارة أخرى منحت اتفاقيات أوسلو شرعية مفقودة لإسرائيل . وقد ساهمت في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية التي أضعفتها الانقسامات ، وتكوُّن بيروقراطية في صفوفها شبيهة بتلك المتواجدة في العديد من الدول العربية .

من جهة أخرى قلل المجتمع الدولي من نقده لإسرائيل بل دعمها سياسيا واقتصاديا . وعندما اغتيل اسحق رابين بفعل عنف يهودي ، اكتسب مكانة اسطورية كصانع سلام وصاحب رؤية . إلا أن الواقع ليس كذلك : " فقد قطّع رابين أوصال الضفة الغربية وأعطى اسرائيل حق الاحتفاظ ب 75% من الأراضي ومن كل المياه بالفعل وقد تم توسيع المستوطنات التي يعتبرها المجتمع الدولي غير قانونية . أما القدس فقد تجاهلها وأرجئت إلى محادثات الوضع النهائي " [45] .

فبإدارة الانتفاضة الأولى، أدركت اسرائيل أن الوسائل التقليدية للاحتلال لم تعد ناجعة ويجب تطوير وسائل أخرى للسيطرة . فمنح الفلسطينيين حكما ذاتيا من شأنه أن يقوي السيطرة الإسرائيلية على الأراضي في أماكن أخرى ، وتجبر الفلسطينيين أن يتولوا شؤونهم الأمنية بأنفسهم . كما تمكن الجيش الإسرائيلي من السيطرة على السكان الفلسطينيين من على بعد .

فخلفية أوسلو تكمن في أن الصهيونيين يريدون التفاوض مع قيادة فلسطينية ضعيفة ، مشلولة وقادتها في تونس بعيدا عن مسرح الأحداث . فخشية بروز قيادة جديدة في الأراضي المحتلة على معرفة بالواقع وبالمعاناة اليومية للناس في ظل الاحتلال ، سارع رابين الوزير الأول وشيمون بيريس وزير

خارجيته أن من الضروري ابرام صفقة مع الفلسطينيين. يقول بنجامان بارت ، وقد كان مراسل جريدة لوموند الفرنسية في الشرق الأوسط :" إنه اقرار يبين الفرق بين القيادة في الخارج – القادمون من تونس – والنخب السياسية في الضفة الغربية ، فالأوائل كانوا مهووسين بفكرة تثبيت إقدامهم من جديد في فلسطين وهم يجهلون المدى الحقيقي للتغيرات الناتجة عن الاستيطان . أما نخب الداخل فكانوا مقتنعين في العمق بأن تجميد الاستيطان يجب أن يكون الشرط الإلزامي لأي مسار حقيقي للسلام [46] .

عندما جاء حزب الليكود اليميني المتطرف إلى السلطة سنة 2000 وعلى رأسه آرييل شارون الذي يعد بكل المعايير مجرم حرب ، " أصبحت إسرائيل في زمنه ، كما يقول عالم الإجتماع الإسرائيلي باروخ كيمرلنغ Baruch Kimmerling ، وكيلا لدمار لا يقتصر على البيئة المحيطة بها فقط ، بل تعداها ليصل إلى اسرائيل نفسها ، لأن سياستها الداخلية والخارجية توجهت توجها واسعا نحو هدف رئيس واحد ، تذويب الشعب الفلسطيني ، وأقصد بالتذويب تلك العملية التي يكون هدفها الأخير إنهاء وجود هذا الشعب وكينونته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والشرعية " [47] .

لقد قضت اتفاقية أوسلو على حل الدولتين الذي طالب وما زال يطالب به الفلسطينيون . فالقبول الدبلوماسي لحل الدولتين لدى اسرائيل ، لم يمثل سوى تغييرا تكتيكيا في الاستراتيجية طويلة المدى لتكثيف " أرض إسرائيل " داخل كل أرض فلسطين كما حددها الوعد البريطاني (وعد بلفور) . وقد تم الانخراط في عملية أوسلو لهذا الغرض ، وأبداً لم يقتض هذا الأمر أي تجميد للمستوطنات [48] . عندما اندلعت الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) ، أعلن شارون أنه لم يعد هناك شريك للتعامل معه ، وشن جيشه هجوما لتدمير البنية التحتية الفلسطينية ولكنه وفر السلطة الفلسطينية ، لأنه لا يريد تحمل مسؤولية الاحتلال [49].

فعملية أوسلو في جوهرها هي عملية فصل خطط لها النظام الصهيوني بدقة ويعود تاريخها إلى خطة ألون الوزير الصهيوني في 1967. ومن هنا أيضا يأتي الانسحاب من غزة التي سارع شارون إلى إخلائها من المستوطنين. كما أن الانسحاب المتوقع والذي لم ينجز من 42% من الضفة ، يندرج ضمن هذه الاستراتيجية التي تتوخى فك الارتباط مع الفلسطينيين والتوسع في المستوطنات المستشرية في الأرض . فمشروع الدولة الفلسطينية التي بشرت به عملية أوسلو لم يخرج من هذا الإطار المتمثل في زج الفلسطينيين في جيوب معزولة عن بعضها البعض على شكل أرخبيل والتخلي للسلطة الفلسطينية عن المناطق المكتظة بالسكان لتديرها لحساب اسرائيل [50] ، وهذه الأخيرة لا ترى مانعا أن تسمى هذه المعازل دولة فلسطينية .

أما الجدار العازل الذي يُبنى في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، فالغرض منه ليس أمنيا كما تدعي اسرائيل ، ولكن هدفه الفصل ، والاستيلاء على الأرض ووضع الفلسطينيين في إطار صعب معيشيا محفوفا بالمنغصات اليومية كنقاط التفتيش التي تبلغ المئات في حيز صغير جدا والمداهمات وتدمير المنازل ، لإجبارهم على الهجرة والبحث عن العمل في الخارج في غياب عملية ترحيل كبرى يستغلها

الصهيونيون لطرد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين . إن الجدار هو بمثابة آلة منسقة ، جيواستراتيجية متطورة لإدارة الحركة وتشويش مجرى الحياة في الجانب الفلسطيني ، وللإبعاد والانقطاع والتجريد في الجانب الإسرائيلي[51] .. يقول أحد الكتاب : " إن الجدار من شأنه أن يدمر دعائم الاقتصاد الفلسطيني مضاعفا الهشاشة المحلية على مستوى العمل الإنساني ومفتتا قدرة الاقتصاد الوطني على الحياة " [52] .

في هذا السياق لم يعد ممكنا الحديث عن دولة فلسطينية قابلة للحياة ، وتملك مقومات السيادة على الأرض وتتحكم في الموارد المائية والشؤون الخارجية والسيطرة على الحدود . فالإستراتيجية الصهيونية ما تزال ثابتة : استغلال الحروب والظروف لإفراغ البلاد من سكانها الأصليين . عندما سؤل حيدر عبد الشافي ، رئيس الوفد الفلسطيني إلى محادثات مدريد (استبعد فيما بعد) عن البديل عن أوسلو ، قال : " البديل كان عدم التوقيع ، البديل كان عدم الرضوخ لمزاعم اسرائيل في الأراضي المحتلة ، ولو كانت اسرائيل بقيت على عنادها . فليكن فليبق الوضع على ما هو عليه ، الأمور سيئة ، ولكن على الأقل ما كان يجب أن نتنازل عن حقوقنا " [53].

3- حل الدولة الواحدة ثنائية القومية

كثير من المحللين والملاحظين السياسيين ، يعتبرون أن اسرائيل أصبحت الآن تسيطر على كامل فلسطين التاريخية ، أي تلك التي تمتد من البحر المتوسط إلى نهر الأردن ، وتتعامل مع هذه الأرض بتطبيق أنظمة قانونية مختلفة على سكانها ، مقسمة إياها بحسب الطائفة أو الدين أو الإثنية ومقسمة الأرض إلى كانتونات ومقاطعات . فإسرائيل استطاعت أن تقيم نظاما واحدا على كافة الأرض الفلسطينية ولكنه متعدد الأدراج ، بحسب موقع المجموعات البشرية في هذا الحيز أو ذاك، يهودية أم غير يهودية . وهذا النظام شبيه بنظام الفصل العنصري (أبارتهايد) الذي ساد في جنوب افريقيا [54]، ويقصد به : " نظام يتم فيه الفصل بين المجموعات بالقوة والتعامل مع السكان على أساس تفضيلي تمييزي (قانونيا وواقعيا) بالاعتماد على قانون الدولة وعلى قاعدة هوياتهم الجمعية "[55] . فعملية أوسلو في جوهرها هي عملية فصل خطط لها النظام الصهيوني بدقة لضم أراضي الضفة وغزة ، إلى جانب إدارة ذاتية محدودة يمنحها للفلسطينيين . في 1967 ، كان ألون ، صاحب الخطة الشهيرة ، يفكر جديا في ضم كل الأراضي ، لكنه عدل عن هذا الخيار خشية ان يمنح السكان العرب حق الاقتراع [56] . في هذه الخطة التي تتمسك بها اسرائيل تقتضي السيطرة على غور الأردن بحيث لن تكون لمناطق " الحكم الذاتي " المقترحة ، حدودا مع الأردن . بالإضافة إلى ضم قطاع غزة وتوطين سكانه في الضفة الغربية أو حتى في سيناء المصرية المحتلة، وبناء المستوطنات في المناطق التي يكون فيها عدد الفلسطينيين قليلا [57] .تتذبذب السياسة الصهيونية حول هذه المسألة بحسب ما إذا كان السكان اليهود يشكلون الأغلبية أم لا .[58]

فحل الدولة الواحدة ثنائية القومية ينطوي على فكرة أن التماس بين اليهود والعرب في المناطق المحتلة في 1967 ، وكذلك في المناطق غرب " الخط الأخضر " أي اسرائيل ، أصبح واقعا لا فكاك منه ، ناتجا عن تغلغل المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية رغم سياسة الفصل التي تنتهجها

اسرائيل . فمن الناحية الواقعية ، كما يقول أصحاب هذا الطرح ، هناك الآن دولة واحدة ، لكن الفلسطينيين لا يستطيعون المطالبة بدولة واحدة ، لأن اسرائيل سترفض، وإلاّ ستتخلى عن ايديولوجيتها الصهيونية . فالخطر الديموغرافي الناتج عن التزايد الطبيعي للفلسطينيين سيكون في المنظور المتوسط قائما والحكومات الصهيونية سواء من اليمين او من اليسار سائرة قدما نحو زيادة الاستيطان والمستوطنين اليهود . الفصل الاثني قائم على عبارة " نحن هنا " و" هم هناك " . وهي عبارة توحي بوجود حل للاحتلال ، ولكن الحقيقة ان إسرائيل أعادت انتشار جيشها في المناطق المحتلة بحيث تستطيع التحكم والسيطرة بوسائل مبتكرة هي " احتلال بواسطة التحكم عن بعد " [59].

أما غزة التي أخلي منها المستوطنون بالقوة ، وقامت حولها تلك الضجة المفتعلة حول التضحية الكبيرة التي قدمتها اسرائيل ، فهي لم تتحرر أبدا من ربقة الاحتلال الإسرائيلي . فهي محاصرة برا وبحرا وجوا ، وتمارس إسرائيل سيطرة كاملة على منافذها ومعابرها ولا تدخل اليها الموارد سواء الغذائية أو غيرها ، إلا بعد إذن من الجيش الإسرائيلي ، الذي يشن حربا مستمرة لتصفية قادة وزعماء النضال الفلسطيني . وإذا لم تضمها اسرائيل فلأنها مكتظة بالسكان ، ولم تتمكن اسرائيل من نقلهم إلى الضفة الغربية كما جاء في خطة آلون .

أما المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية ، فيشملها القانون الإسرائيلي والضم الفعلي و يغطي تهويدها الآن 44% من أراضي الضفة الغربية ، واسرائيل مستمرة في التحكم بكل العناصر السيادية الأساسية ، في الضفة وغزة ، مثل الهجرة وتسجيل السكان والاستيراد والتصدير وإدارة المياه والبنى التحتية للمواصلات والأرض وخطط التنمية والعلاقات الخارجية والاستثمار [60] . أما بالنسبة للمستوطنين ، فإن اسرائيل تتصرف وكأنها في أراضيها ، حيث تشملها بالقوانين المدنية المطبقة في اسرائيل [61].

أحد المثقفين الفلسطينيين الذين يعيشون في اسرائيل وهو البوفيسور أسعد غانم [62] ، يرى أن حل الدولة الواحدة ثنائية القومية أصبح لا مفر منه لأن سياسة الفصل التي تعتمدها اسرائيل ، لا يمكن أن تصل إلى أي نتيجة ، نظرا للتداخل بين القضايا المشتركة كالطرق ومصادر المياه والبيئة والعمالة وسوق الإنتاج والموانئ . الخ . واسرائيل تصر أن تكون هي الحاكم الوحيد في هذه المسائل . أما المستوطنات بطرقها الالتفافية فقد أصبحت اليوم تضم ما لا يقل عن 700000 مستوطنا بما فيها القدس الشرقية . وهذه الأخيرة ضمت إلى اسرائيل وأصبح سكانها العرب في حكم المقيمين الدائمين ولا يتمتعون بالجنسية الإسرائيلية إلا إذا أبدوا ولاءهم للدولة الصهيونية وهم معرضون للطرد في أي لحظة ، وقد تغيرت معالمها بحيث لا يمكن تقسيمها . أما اللاجئون الفلسطينيون ، فإن اسرائيل لن تقبل بعودتهم . وكل الأحزاب الإسرائيلية ، بما فيها حزب العمل " اليساري " لا تقبل بدولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة جنبا إلى جنب مع اسرائيل . كل ما تقترحه على الفلسطينيين هي هذه المعازل المغلقة تحاصرها اسرائيل من جميع الجهات . فهذا الوضع المتداخل ، بحسب أسعد غانم ، هو الذي يسمح للفلسطينيين المنعزلين بالوصول إلى جميع أجزاء البلد [63] بما فيها مناطق 48 التي يعيش فيها اليوم أكثر من 20 % من الفلسطينيين .

أما في الجانب الإسرائيلي ، مهما كان الطيف السياسي ، فكلهم متفقون على أن دولة واحدة ثنائية القومية سيؤدي بالإطاحة بالمشروع الصهيوني القائم عل النقاء العرقي والحصرية اليهودية . وهذه الحصرية خططت لها اسرائيل الصهيونية منذ البداية . يقول باروخ كيمرلينغ : " من الضروري أن نفهم أن المجتمع اليهودي في فلسطين كان مبنيا مؤسساتيا وادراكيا وعاطفيا على "وهم" يهودي حصري . وكانت الخطط من أجل الدولة الجديدة حصرية أيضا . وكان من المفترض أن تكون الدولة اليهودية يهودية خالصة ، ولم تكن الوسائل السياسية أو البيروقراطية جاهزة للإحتمال الوارد في جميع اقتراحات التقسيم ، بأن الأقلية العربية الكبيرة سوف تبقى داخل حدود الدولة اليهودية . هذا الإحتمال كان معترفا به فقط في البيان المنمق لإعلان الإستقلال. " [64]

أما من الجهة الفلسطينية الرسمية ، فهي مبدئيا ترفض حل الدولة الواحدة ثنائية القومية لأنه يقوض المشروع الوطني الفلسطيني القائم على نضال ومعاناة داما زمنا طويلاً . لأن " مبدأ الدولتين ، الذي أقره القانون الدولي هو مبدأ نضالي ، كفاحي ، مفاوضاتي ، كل ذلك بهدف الوصول إلى إقامة دولة فلسطين المستقبل التي شطبت من الخريطة " [65]، كما يقول صائب عريقات كبير المفاوضين الفلسطينيين . وبحسب هذا الرأي فإن اسرائيل بتركيبتها الحالية المتطرفة لن ترضي بدولة ثنائية القومية . فالجدار الإسرائيلي المقصود به ظاهريا احتواء الهجوم الفلسطيني ، يمثل وسيلة حماية في الأساس ضد أي منظور مستقبلي لدولة ثنائية القومية ، يسري الخوف منها علنا في أوردة الجدل الإسرائيلي[66] . وما انخراط اسرائيل في أوسلو وقبول التعامل ظاهريا مع حل الدولتين سوى من هذا المنطلق : رفض دولة واحدة ثنائية القومية . فإزاء العامل الديموغرافي ، ثم توسع المستوطنات في المناطق المحتلة والاحتكاك الممكن بينهما والقمع الوحشي للانتفاضة الفلسطينية الذي شوه سمعة اسرائيل دوليا ، فجأة أصبح حل الدولتين هي الحاجة التي تسعى اليها اسرائيل [67] . إلا أن انهيار عملية أوسلو بمجيئ شارون إلى السلطة سنة 2000 ، إن لم يكن قبل ذلك ، وصعود اليمين المتطرف ، وإعلان القانون الأساس حول اعتبار اسرائيل دولة يهودية حصـــريا في 2018 ، لم يترك من خيار سوى الانخراط في منظور دولة واحدة ثنائية القومية .

يقول اسرائيل شاحاك إن الكتابات في الخارج عن اسرائيل تعاني قصورا لا مثيل له هو تجاهلها " حقيقة أن اسرائيل ليست نظريا وعمليا دولة اسرائيلية وإنما هي دولة يهودية " [68]

فيجب على الفلسطينيين إذن أن يناضلوا من أجل القضاء على هذا النظام التمييزي والانخراط والاستعداد للعيش في دولة واحدة من البحر إلى النهر ، كما يحاجج البروفسور أسعد غانم ، وكذلك إدوارد سعيد ، من المثقفين الفلسطينيين البارزين . هذا الأخير يؤكد من جهته أن " صغر مساحة فلسطين الأصلية ، والتداخل الكبير بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، رغم انعدام التكافؤ والتنافر بينهما ، يبلغان حدا يتعذر معه ببساطة حدوث هذا الفصل التام أو تحقيقه " [69] .

أما الرسميون فهم يتساءلون ما إذا تكون هناك فائدة ترجى لتوصيف الوضع بأنه آبارتهايد ، لأن " الاحتلال العسكري هو أعلى درجة الإرهاب الذي يُمارس ضد شعب آخر . فالإصرار على هذا الوضع ، أي الإحتلال ، يستفيد منه الفلسطينيون لخوض النضال ضده على المستوى الدولي والتنديد به كوضع مخل بالقانون الدولي وبالأخلاق الدولية " .[70]

ولكن هؤلاء يصطدمون بعقبة كأداء . فالمجتمع الدولي عاجز عن إيجاد حل ، وهو مشلول بخصوص المسألة الفلسطينية بسبب الفيتو الأمريكي . أما الدول العربية فقد أصبحت أضعف من أن تؤثر لإيجاد حل وقد أنهكتها الحروب الداخلية والانقسامات والإعتماد الأعمى على الولايات المتحدة الأمريكية . أما الأوروبيون فهم يعانون من عقدة الذنب أي المحرقة التي لا تنفك إسرائيل تذكرهم بها بل وتبتزهم بها [71]. من هذه الناحية ليس هناك أمل يتراءى في المنظور القريب . الولايات المتحدة تواصل دعمها لإسرائيل ، ولم تعد تتردد في اتخاذ مواقف متناقضة تماما مع الأعراف الدبلوماسية التي احترمتها ظاهريا في السابق ، كما في مسألة القدس الشرقية التي اعترف بها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عاصمة لإسرائيل ، في تناقض تام مع المواقف التقليدية الأمريكية التي رفض رؤساؤها إلى عهد ترامب الاعتراف بها كعاصمة موحدة لإسرائيل . فبالنسبة لواشنطن لم تعد اسرائيل هي السبب في عدم الاستقرار في الشرق الأوسط ، بل هما إيران والحركات الجهادية ، وقد ساعد على ذلك أن دولا عربية هي نفسها انخرطت في هذا الطرح ، مما شجع اسرائيل على سياستها العنصرية المقيتة .

خاتمة

باستطاعتنا أن نلاحظ الطابع المزدوج للخطاب الصهيوني على لسان قادته ، وهو خطاب يوحي ، عندما يصرح به الوزير الأول الحالي بنيامين ناتنياهو ، بأن اسرائيل أصبحت تقر أخيرا ، بحل الدولتين السلمي. من جهة أخرى يستمر الإصرار من طرف اسرائيل على ممارسات كولونيالية واضطهادية تعمل على تهويد الحيز الفلسطيني وترفض للفلسطينيين تحقيق مصيرهم . فهذا العرض بإقامة دولة فلسطينية مرافق دائما بشروط مستحيلة التحقيق مثل الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية ، والقدس عاصمة موحدة لإسرائيل لا يمكن التفاوض حولها والتحكم في الحدود والموارد ، وهي شروط يسارع الفلسطينيون إلى رفضها[72] . هذه المرحلة هي مرحلة " لا دولتان ولا دولة واحدة " ، فهي مرحلة تؤسس " لأبارتهايد زاحف "، يفسر دمج الضفة الغربية المستعمرة وقطاع غزة المحاصر واسرائيل في نظام حكم واحد ، يُدار كليا من قبل الدولة اليهودية [73] . فالسؤال المطروح هو: إلى أي مدى تستطيع اسرائيل أن تتحمل الطبيعة " المؤقتة " للاحتلال ، دون أن تُعلن عنها دوليا بأنها دولة عنصرية[74]. لكن اسرائيل تسير قدما نحو اعتماد نظام عنصري ومأسسته ، مما يؤكد التحليل السابق المتمثل في ان اسرائيل بسيطرتها الكاملة على كل فلسطين الانتدابية ، تطبق على السكان من البحر إلى النهر ، أنظمة قانونية مختلفة شبيهة بتلك التي طبقها النظام العنصري في افريقيا الجنوبية إزاء السكان السود والملونين والبيض .

بانهيار عملية اوسلو يبقي العامل الديموغرافي يقض مضجع اسرائيل . فبمجرد ان تتجاوز النسبة المقدرة ب 80% لليهود و20% للعرب ، تبدأ إسرائيل في دق ناقوس الخطر . ولأن الهجرة إلى اسرائيل نضب معينها ، فقد استقدمت المهاجرين الروس وغير الروس للتغلب على هذا " الخطر" [75] . فالترحيل أي الطرد لا يزال قائما . وهي ليست ضربا من الخيال . " إن مفهوم النقل (ترانسفير) راسخ في الصهيونية إلى حد أن الأمل بتلاشيه ضئيل " [76] ، كما يقول نور مصالحة. ولم تتردد شخصيات صهيونية في أوساط المثقفين أو الجيش وحتى المسؤولين من أمثال ليبرمان وزير الدفاع السابق في حكومة ناتنياهو ، في الإجهار بهذا الحل والتصريح به كحل نهائي للمسألة الفلسطينية ، والمباشرة في انهاء التطهير العرقي الذي بالنسبة اليهم ما كان يجب أن يتوقف في 1948. من هؤلاء ، المؤرخ بيني موريس ، الذي كان من الأوائل ممن يسمى في اسرائيل " المؤرخين الجدد" ، الذين كشفوا عملية طرد الفلسطينيين من قراهم وبلداتهم ومدنهم بطريقة منهجية وطبقا لأوامر صريحة جاءت من المسؤولين الصهاينة في 1948 ، وليس ، كما تدعي اسرائيل ، لأن القادة العرب طلبوا منهم ذلك . وقد توصل موريس إلى هذه الحقيقة التي أصبحت مقبولة في اسرائيل ، ابتداء من الأرشيف الصهيوني الّذي ُوضع جزئيا في متناول الجمهور [77] . وقد صرح بيني موريس أن التطهير ضرورة حتمية وكان يجب أن يذهب إلى مداه للتخلص من العرب من البداية و" من دون اقتلاع الفلسطينيين لم تكن لتقوم هنا دولة يهودية " [78] .

فلا يفتأ القادة الصهاينة حاليا يهددون الفلسطينيين بالطرد ، ودفعهم نحو حدود الأردن . إلا أنه في غياب الفرصة المنشودة لتبرير الطرد كالحرب مثلا ، فهم يفكرون في وسائل أكثر نجاعة وأكثر إحكاما من الوسائل السابقة ، يساعدهم في ذلك اعتمادهم المطلق على الولايات المتحدة الأمريكية . فالإعتراف الأخير من طرف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالقدس عاصمة اسرائيل وقطع المساعدات على وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين ، (الأونوروا) ، شجع اسرائيل على تمرير القانون الأساس (الدستوري) في البرلمان : " اسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي" ، وهي اشارة ، كما يعتقد بعض الكتاب نحو توجه جديد لتصفية القضية الفلسطينية ، حل يضغط نحو مركزية دولة يهودية قوية بدرجة كافية لتحكم أغلبية غير يهودية [79]. فإسرائيل تعاني من توقيت سيئ الحظ في محاولة طرد الفلسطينيين ، بعد مضي أكثر من نصف قرن على تخلص المنطقة والعالم من الاستعمار ،حيث لم تعد تنفع الحجج الاستعمارية القديمة التي تتفاخر بها إسرائيل من أنها جلبت " الحضارة والديموقراطية" للمنطقة المتخلفة . تقول فرجينيا تيلي : " مع تنميط اسرائيل نفسها بوصفها الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط ، تظل الديموقراطية الاثنية الوحيدة التي تزعم انتماءها إلى المجتمع الدولي الأوروبي الأمريكي . وذلك الزعم يصبح حرجا لا يمكن التسامح معه ، حيث هذا النموذج آخذ في الانقراض في كل مكان " [80].

الهوامش

1 - زئيف جابوتنسكي ، " الجدار الحديدي " ، قضايا اسرائيلية ، رام الله ، فلسطين، العدد 37-38 ، 2010 ، ص 31--35 .

1 - حوار مع ايلان بابيه ، أجراه سعيد محمد ، الأخبار ، بيروت ، 2018/8/4 . - 2

3 - Israel Shahak , « L'idée de transfert dans l'idéologie sioniste » , Revue d'études palestiniennes , Paris , Automne 1988 , pp.240-312 .

4- أوري رام ، " دراسات ما بعد الصهيونية في اسرائيل : العقد الأول " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 2013/10 ص48

5 - أورن يفتاحيل ، الإثنوقراطية : سياسة الأرض والهوية في إسرائيل / فلسطين ، ترجمة : سلافة حجازي ، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ، رام الله ، 2012 ، ص72 .

6- نفس المصدر ، ص 68 .

7 - نفس المصدر ، ص68 .

8 - ران غرينستاين ، " الصهيونية والاحتلال : الاستمرارية والتغيير ، " قضايا اسرائيلية " ، العدد 68 ، 2018/01/15 ، ص 9-21.

9 - نومان ج. فنكلستين ، ما يفوق الوقاحة : إساءة استخدام اللاسامية وتشويه التاريخ ، ترجمة : أيمن حداد وأحمد عوض، العبيكان ، السعودية ، 2008 ، ص 335 .

10- نفس المصدر .

11- الصهيونية حركة عنصرية ، أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية ، ترجمة عدنان كيالي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979 ، ص 134 .

12- الصهيونية حركة عنصرية ، نفس المصدر ، ص 141 .

13- الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية ، ترجمة : لطفي العايد وموسى العنز ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بدون تاريخ ، ص 120

14 - أودي أديب ، " الاحتلال الإسرائيلي : مصلحة اقتصادية أم تطبيق للفكرة الصهيونية " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 68 ، 15 يناير 2018 ، ص 85 .

15- الصهيونية حركة عنصرية ، مصدر مذكور ، ص142 .

16- مارك ليفين ، السلام المستحيل : اسرائيل / فلسطين منذ 1989 ، ترجمة أنوار عبد الخالق ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2013 ،ص 59 .

17- إيلان بابيه ، " قراءة في سياسة الترانسفير : من حاييم وايزمان إلى رحبحام رئيني " ، قضايا اسرائيلية ، 2002/01/01 ، ص5

18- نفس الصدر ، ص 6 .

19 - ران غرينشتاين ، " الصهيونية والاستيطان والاحتلال : الاستمرارية والتغيير " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 68 ، 2018/1/15 ، ص 13 .

20- نفس المصدر ، ص 13 .

21 - اسرائيل شاحاك ، " فكرة النقل (الترانسفير) في العقيدة الصهيونية " ، مجلة دراسات فلسطينية ، باريس ، العدد 29 ، خريف 1986 . ورد هذا المقال مترجما إلى العربية في : الترانسفير : الإبعاد الجماعي في العقيدة الصهيونية ، القاهرة ، دار البيادر ، 1990 ، ص 264 .

22- الترانسفير : الإبعاد الجماعي في العقيدة الصهيونية ، نفس المصدر أعلاه ، ص 223-225 .

23- رشيد الخالدي ، القفص الحديدي : قصة الصراع الفلسطيني لإقامة دولة ، ترجمة : هشام عبد الله ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2008 ، ص230 .

24- أورن يفتاحيل ، الاثنوقراطية ، مصدر مذكور ، ص72-73 .

25 - شلومو ساند ، اختراع "أرض إسرائيل" ، ترجمة انطوان شلحت وأسعد الزعبي ، عمان ، الأهلية ، رام الله ، مدار ، 2014 .

26- مايكل راس ، الوطن المغتصب : اسرائيل في فلسطين والبحث عن حل ، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2003 ، ص 160 .

27 - هنيدة غانم ، أنطوان شلحت (تحرير) ، في معنى الدولة اليهودية ، عمان ، الأهلية ، ص 28-29 .

28 - غابرييل بيتربرغ ، المفاهيم الصهيونية للعودة : أساطير وسياسات ودراسات اسرائيلية ، ترجمة : سلافة حجاوي ، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ، رام الله ، فلسطين ، 2009 ، ص311 .

29 - أمنون راز كركوتسكين ، " المنفي ، التاريخ ، وقومنة الذاكرة اليهودية : تأملات في " العودة إلى التاريخ كفكرة صهيونية " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 2009/11/3 .

30 غابرييل بيتربرغ ، المفاهيم الصهيونية للعودة ، مرجع مذكور ، ص 311 .

31 - كيت وايتلام ، اختلاق اسرائيل القديمة : إسكات التاريخ الفلسطيني ، ترجمة : سهير الهنيدي ، الكويت ، عالم المعرفة ، 1999 .

32 - نفس المصدر ، ص 92-93 .

33- شلومو ساند ، اختراع الشعب اليهودي ، الأهلية ، عمان ، مدار ، رام الله ، 2011 ، ص 180 .

34- ران غرينشتاين " الصهيونية والاستيطان والاحتلال : الاستمرارية والتغيير " ، مرجع مذكور ، ص 21 .

35 - عنات لايبلر ، " الآلة الخاصة لشرعنة طرد الفلسطينيين في 1948 " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 71 ، 2018/11/07 ، ص 21 .

36 - نيف غوردون ، " عن المهر والعروس : تحليل بنيوي للاحتلال الإسرائيلي " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 2009/11/3 .

37- أسعد غانم ، " إسرائيل والخطر الديموغرافي " ، في : جميل هلال ، حل الدولتين ، مصدر مذكور، ص 84 .

38 - جميل هلال ، " فلسطين آخر قضايا الاستعمار " ، في : فلسطين إلى أين ؟ ، تحرير : جميل هلال ، ترجمة أحمد حسني البشاري ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2010 ، ص 23 .

39 - محمد حسنين هيكل ، اتفاق غزة أريحا أولا : السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،1994 ، ص 9 .

40 - ليف غرينبرغ ، " عن السلام والديموقراطية والاغتيال السياسي في اسرائيل " ، قضايا اسرائيلية ، العدد10 ، 2003/5/01 ، ص 12-35 .

41- إدوارد سعيد ، " غزة أريحا" : السلام الأمريكي ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1994 ، ص 35 .

42- مقابلة مع إيهود باراك . صحيفة هآرتس ، 2015/1/7 .

43- وردت في : مجلة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، المجلد 7 ، العدد 28 (خريف 1996) ، ص 232

44 - اسرائيل شاحاك ، أسرار مكشوفة : التسلح النووي والسياسة الخارجية الإسرائيلية ، بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ترجمة عادل خير الله ورضى سلمان ، ط2 ، 2001 ، ص 232 .

45 - نيكولاس جويات ، غياب السلام : محاولة لفهم الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، ترجمة : طلعت الشايب ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2005 ، ص 67 .

46 - وردت في : مهند عبد الحميد ، اختراع شعب وتفكيك آخر : عوامل القوة والمقاومة والضعف والخضوع ، مرجع مذكور ، ص 159.

47 - باروخ كيمرلينغ ، التصفية : أرييل شارون ضد الفلسطينيين ، ترجمة سمر عدنان بغجاتي ، بيروت ، الحوار الثقافي ، 2005 ، ص 12 .

48 - فيرجينيا تيلي ، حل الدولة الواحدة : انفراجة للسلام في المسار الفلسطيني المغلق ، ترجمة : ربيع وهبة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2016 ، ص 175 .

49- أسعد غانم ، " اسرائيل والخطر الديموغرافي " ، في : فلسطين إلى أين ؟ ، تحرير : جميل هلال ، ص98

50 – نفس المرجع ، ص 211 .

51- عادي أوفير ، " نظام العنف الإسرائيلي في المناطق الإسرائيلية " ، قضايا اسرائيلية .

52 - بيتر لاغركويست ، " تسييج السماء الأخيرة : التنقيب عن فلسطين بعد " جدار الفصل " الإسرائيلي " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد 15 ، العدد58 ، ربيع 2004 ، ص 68 .

53 - وردت في : نيكولاس جويات ، غياب السلام ، مرجع مذكور ، 251

54- أورن يفتاحيل ، الإثنوقراطية : سياسات الأرض والهوية في اسرائيل / فلسطين ، مصدر مذكور أعلاه .

55 - أورن يفتاحيل ، " من الكولونيالية والإثنوقراطية : الأبارتهايد الزاحف في اسرائيل/فلسطين " ،قضايا اسرائيبية ، العدد 35 ، 2009 ، ص

56- نيكولاس جوياس ، غياب السلام ، مصدر مذكور ، ص219-220 .

57 – نص مشروع آلون موثق في : اسرائيليون يتكلمون : حوار بين إسائيليين حول القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، 1977 ، ص 225 .

58 - إليا زريق ، " الديموغرافيا والترانسفير : طريق اسرائيل إلى اللامكان " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد 14 ، العدد 55 ، صيف 2003 ، ص 42 .

59 - نيف غوردون ، " عن " المهر " و" العروس " :تحليل بنيوي للاحتلال الإسرائيلي " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 2009 ، ص50 .

60 - أورن يفتاحيل ، " من الكولونيالية والاثنوقراطية : الأبارتهايد الزاحف في اسرائيل /فلسطين " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 2009 ، ص 26 .

61 - ران غرينشتاين ، " الصهيونية والاستيطان والاحتلال : الاستمرارية والتغيير " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 68 ، 2018/1/15 ، ص 20 .

62 - أسعد غانم ، " دولة فلسطينية اسرائيلية ثنائية القومية : نحو حل للمسألة الفلسطينية " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد 11 ، العدد ، 41 ، (شتاء 2000) ، ص 3-32 .

63 - نفس المرجع .

64- باروخ كيمرلينغ ، التصفية : حرب آرييل شارون ضد الفلسطينيين ، مصدر مذكور ، ص 32 .

65 - " اسرائيل : أبارتهايد جديد " ،(ندوة) ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 2009/11/3 ، ص 63-71 .

66- فرجينيا تيلي ، مصدر مذكور ، ص 150 .

67- نفس المرجع ، ص 150 .

68 - وردت في : ألان غريش ، علام يطلق اسم فلسطين ؟ ، ترجمة : داليا سعودي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر ، بيروت ، 2012 ، ص 107 .

69 - ادوارد سعيد ، نهاية عملية أوسلو وما بعدها ، بيروت ، دار الآداب ، 2002 ، ص 278 .

70 - هنيدة غانم : ما بين الاحتلال العسكري الاستعماري والأبارتهايد : مقارنة حول نقاط التقاطع والاختلاف " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 2009/1/03 .

71 - نورمان فنكلشتاين ، صناعة الهولوكوست ، تأملات حول استغلال معاناة اليهود ، ترجمة : سماح ادريس ، بيروت دار الآداب ، 2000 .

72 - أورن يفتاحيل ، " بين الكولونيالية والاثنوقراطية : الأبارتهايد الزاحف في اسرائيل / فلسطين " ، قضايا اسرائيلية ، العدد 35 ، 3 نوفمبر 2009 . ص 19 .

73- نفس المرجع ، ص19 .

74- نفس المرجع ، ص 29 .

75- إليا زريق ، " الديموغرافيا والترانسفير : طريق اسرائيل إلى اللامكان " ، مصدر مذكور ، ص 42 .

76 - نورالدين مصالحة ، " التصور الصهيوني " للترحيل " ، نظرة تاريخية عامة " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، المجلد 2 ، العدد 7 ، (صيف 1991) ، ص 20 .

77- بيني موريس ، مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ترجمة : عماد عواد ، جزءان ، الكويت ، عالم المعرفة ، 2013

78 - ما بعد الصهيونية : بين الحياة والموت ، ترجمة سعيد عباش وحلمي موسى ، سلسلة : أوراق اسرائيلية ، رام الله ، مدار ، 2004 ، ص 32 .

79 - إيان س. لوستيك ، " الإرتباط المصيري ما بين اسرائيل والمعضلة الديموغرافية " ،قضايا اسرائيلية ، العدد 71 ، 2018/11/07،

- فرجينيا تيلي ، حل الدولة الواحدة ، مرجع مذكور ، ص 372 .80